في أعقاب انهيار اليمين الفاشي

تحالفات وصراعات جديدة
التدخل الأجنبي يدخل مرحلة العلن

دخل الصراع الدائر في لبنان طورا جديدا تماما في الايام القليلة الماضية . والسمة الابرز لهذا الطور الجديد هي بروز تحالفات جديدة وصراعات جديدة تعدل كثيرا من صورة اطراف النزاع كما عرفتها الاشهر السابقة .

ومقابل غلبة صراع القصر واحزاب اليمين مع قوى الحركة الوطنية والمقاومة على صورة الاحداث في الاشهر الماضية ، فان التوتر والتعارض بين الحركة الوطنية (المتحالفة مع المقاومة الفلسطينية) والنظام السوري بدأ يحتل واجهة الاحداث . ويترافق ذلك مع اتخاذ الاطراف « الخارجية » في النزاع مواقف علنية : من جولة الاميركي دين براون ، ومبادرة خالدهايم ، ومطالبة السادات فرنجية بالاستقالة ، اضافة الى أنباء لم تتأكد حول وساطة جديدة سيقوم بها موفد فرنسي .

بالطبع ، ان الطور الجديد الذي بلغه الصراع هو نتاج ما تراكم من تطورات خلال سنة القتال الدموي كلها ، وابرز العناصر التي بات الوضع اللبناني يقوم على اساسها هي :

● انهيار قوى اليمين الفاشي ، عسكريا ومعنويا، فبعد اشهر من الصمود الشعبي سقطت اخر مؤسسة كانت ما تزال بيد اهل النظام ـ الجيش ـ وانضم قسم كبير منها الى القوى المعارضة للنظام . واعقب ذلك اجماع شعبي وسياسي على وجوب استقالة فرنجية ، كان من نتائجه ان الوف الشباب المسيحيين رموا سلاحهم وابوا القتال في معركة عنوانها « الدفاع عن شرعية سليمان فرنجية » . ثم جاءت تطورات معارك الفنادق والجبل لتقدم براهين دافعة على انهيار الجبهة

الموفد الاميركي براون : تعديلات تحت الوصاية

العسكرية لليمين واتجاه الاحداث نحو الحاق هزيمة مؤكدة به .

● بالمقابل ، وبداهة ، انتقلت المبادرة العسكرية والسياسة الى أيدي تحالف الحركة الوطنية ـ المقاومة الذي اصبح قادرا على فرض مطالب سياسية تتجاوز الرسالة ـ الوثيقة التي اسفرت عنها المبادرة السورية .

● وبات واضحا للجميع ، بما فيها معظم اطراف النظام ، ان العودة الى القديم مستحيلة قطعا . وان النظام الذي ستسفر عنه الاحداث سيكون اكثر حداثة وقربا من العصر ، بكثير ، من النظام القديم . بل وان هذا النظام الجديد قد يتضمن ما يتجاوز المطالب الاصلية للحركة الوطنية ..

ان هذه العناصر الثلاثة ـ انهيار اليمين الفاشي ، وانتقال المبادرة الى ايدي الحركة الوطنية ، وبروز ملامح تغييرات اساسية في النظام ـ تشكل قاعدة التوترات الراهنة بين الحركة الوطنية والنظام السوري ، واساس عملية اعادة خلط الاوراق الناشطة بين مختلف اطراف الصراع

لقد قامت المبادرة السورية على اساس توازن عسكري دقيق بين الطرفين الوطني والفاشي في الصراع ، وعلى اساس امتلاك اليمين زمام المبادرة العسكرية والسياسية . وكانت وجهة هذه المبادرة العمل على التهدئة مع احداث قدر محدود من التغييرات الداخلية ، ابرز ما فيها تضخيم وزن اليمين الاسلامي ضمن النظام . اي ان الرؤيا السورية لم تكن تتجاوز معالجة الخلل ضمن الجناح التقليديين للنظام الحاكم عبر تحقيق المشاركة التي طالب بها التقليديون المسلمون المتحالفون معها ، وابرزهم رشيد كرامي .

لماذا لم تبرز اية تناقضات مهمة بين الحركة الوطنية و « حلفائها » التقليديين في الفترة السابقة ؟ الجواب : لان المبادرة كانت ما تزال مع اليمين الفاشي الذي قطع الجسور حتى مع حلفائه التقليديين في الطرف الاخر ، ولان الحركة الوطنية كانت وما تزال تعمل تحت شعار « التهدئة » و « وقف اطلاق النار » ، وبالتالي تحت سقف مطالب لا تتعرض بشيء لمواقع التقليديين . وكان واضحا ان القوى الرئيسية في الحركة الوطنية لا تنوي فصم تحالفها ـ غير المبدئي ـ مع القوى التقليدية ، حتى لو عارضت هذه القوى أهم ما في برنامج الاصلاح : العلمانية، والتمثيل النيابي النسبي . وهكذا اتخذت معظم فصائل « اليسار » الاصلاحي موقف الصمت على السلوك الرجعي المكشوف للحلفاء التقليديين في هيئة الحوار الوطني !

الصورة الجديدة

لكن الوضع بلغ الان مرحلة اكثر تقدما . ويضير هذا التقدم ، وبالتحديد ، الاطراف التي جسدت رسالة سليمان فرنجية مصالحها ومواقفها : النظام السوري ، والقيادات الاسلامية التقليدية ، واليمين الفاشي المتحالف مع القصر .

بالنسبة للنظام السوري يمكن تعداد الكثير الكثير من المواقف التي وقف فيها موقف التعارض مع ما كانت تنويه الحركة الوطنية . حواجز الصاعقة أمام تقدم الجيش العربي في خلده ، التضييق على الذخائر والمؤن القادمة من سوريا ، معارضة عمليات الاقتحام في الفنادق والجبل ، الى جانب بيانات الصاعقة وحزب البعث التي اتسمت بحدة « غير طبيعية » تجاه كمال جنبلاط بوصفه قائد التيار الغالب في الحركة الوطنية . وقد ترافق ذلك مع دعم ضمني لسليمان فرنجية كان له اثره في تعزيز تشبثه بالبقاء وفي تعزيز تحالف احزاب اليمين معه .

ومن الواضح ان هذه المواقف السورية تنجم عن اسباب قريبه ابرزها اثر التطورات على تحالفات النظام السوري على صعيد العلاقة مع المقاومة وبالنسبة لمستقبل المفاوضات مع الولايات المتحدة . وعدا ذلك فلا سبيل الى تجاهل تقدم الحركة الشعبية واستقلاليتها النسبية وتمتعها بحريات واسعة ليست بمتناول جماهير الاقطار العربية الاخرى . ان الوضع الراهن في لبنان قابل للتشبيه بأوضاع الاردن قبل احداث ايلول ١٩٧٠ .

على الصعيد الداخلي فان مسألة فرض قيود صارمة على حرية تحرك الحركة الشعبية ، ووضع حدود للتغييرات السياسية المحتملة يشكلان نقطة التقاء اكثر من طرف تقليدي مع المبادرة السورية وفي وضع كهذا ، فان اليمين الفاشي ومعه القصر قد يجدان في التقليديين طرفا يمكن التعامل معه ، ويمكن الاعتماد عليه لانقاذ اكثر ما يمكن انقاذه من النظام .

على ان الصورة ، خارجيا وداخليا ، ينبغي ان تظل قابلة لبعض التحفظات والاستثناءات . ان مزايدات السادات مثلا ، ودعوته فرنجية للاستقالة ، لا تبدل شيئا في خيانة النظام المصري او عدائه الراسخ للحركة الشعبية اللبنانية والثورة الفلسطينية . وليست تصريحاته الاخيرة سوى مناورة رخيصة تليق بسياسي تقليدي مبتدىء ! وعلى صعيد داخلي فان مواقف صائب سلام المؤيدة لريمون اده تنبع من مصالح سياسية مباشرة وضيقة ، دون ان تعني افتراقه على صعيد السياسات الاساسية عن رشيد كرامي والتقليديين الاخرين .

دور التدويل

ماذا عن مسألة « التدويل » ، أي التدخل الخارجي ؟ والمقصود طبعا ليس ان التدخل الخارجي امر مستجد ، وانما خروج الادوار الاجنبية الى طور العلن ، من رساله فالدهايم الى مجلس الامن ، الى جولة دين براون ، وحتى التصريحات الاسرائيلية المتعددة حول لبنان .

ان التلويح بالتدويل يتم في اخطر مراحل الازمة اللبنانية ، أي في مرحلة غلبة الجانب الوطني وانفتاح الابواب لتغييرات اساسية في النظام . وهو يأتي ، في الوقت نفسه ، مع احراز المقاومة الفلسطينية انتصارا صارخا على محاولات ضربها والتضييق عليها . ويهدف التدويل ، وخاصة عبر المبادرة الاميركية ، الى ابقاء التغييرات اللبنانية ضمن حيز الهيمنة الامبريالية ، كما وانه يشكل امتدادا لمشروعات

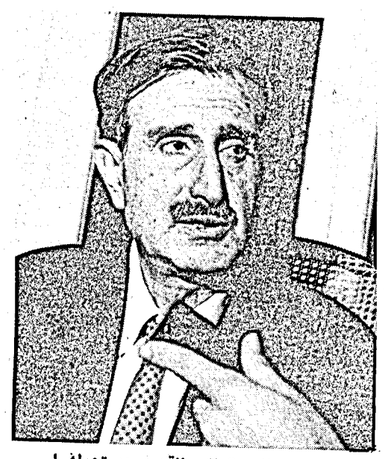

جنبلاط : العودة الى القديم مستحيلة !

التسوية الاميركية المستمرة منذ ١٩٧٣ .

وهنا لا بد من التنبه الى ان قدرة الولايات المتحدة على التدخل تنبع بالدرجة الاولى من « المكاسب » التي حققتها في السنتين المنصرمتين على صعيد علاقاتها مع الانظمة العربية ، وخاصة النظام المصري ، وانها تستفيد كثيرا من التعارض بين تحالف الحركة الوطنية اللبنانية ـ المقاومة الفلسطينية والنظام السوري .

ما هي التوجهات المحتملة « للمبادرة الاميركية » ؟ ان ما يهم الولايات المتحدة في لبنان امران اساسيان : بقاء التغييرات السياسية ، مهما كانت حادة ، ضمن حدود التبعية الامبريالية، وثانيا ، ايجاد بدائل للسلطة اللبنانية تكفل بقاء المقاومة ضمن حدود « المعقول » الامبريالي والرجعي . وضمن هذا التوجه تستطيع الولايات المتحدة ان تضمن تأييد كتلة الدول الاوروبية بأسرها ، وضمنها فرنسا .

ان الولايات المتحدة ، واوروبا ، قد لا تتخذ مواقف معارضة لتحديث النظام و « عصرنته » بل انهما قد تؤيدان اتجاه التحديث ! فالمهم من زاويتهما ان تتم التعديلات تحت مظلة الوصاية الامبريالية ، وان تضمن اية تسوية مقبلة تقليص حريات الحركة الشعبية ، وتقليص جانبها الوطني المعادي للأستعمار .

ان الصورة الراهنة للصراع ، بأوجهها الداخلية والخارجية ، بالغة التعقيد . ويتضمن الوضع احتمالات خطرة جدا منها الانفجار العسكري الواسع ، او تزايد الضغوط السورية على الحركة الوطنية وحليفتها المقاومة الفلسطينية . وستؤثر التطورات الاتية والمقبلة ليس على مستقبل لبنان فحسب ، بل وعلى مستقبل المقاومة وسوريا نفسها .

ان الحركة الوطنية في لبنان مطالبة بالتمسك بعدة قضايا اساسية :

● رفض وادانة التدخلات الخارجية ، وفضح طليعتها المبادرة الاميركية ، لانها تستهدف اعادة تعزيز التبعية الامبريالية على صعيد لبنان وتشديد الضغوط والتآمر على حركة المقاومة . الموقف الجذري على صعيد القضية الوطنية هو الذي يضمن ان لا تذهب معظم تضحيات الشعب اللبناني من غير فائدة .

● الاصرار على استقلالية الحركة الشعبية في لبنان ، وعلى ارادتها في التغيير الجذري ، وعلى وجوب حدوث هذا التغيير عبر استمرار الصراع الداخلي ـ بكافة اشكاله ـ وبالتالي رفض اية وصاية على عملية التغيير ، ورفض عمليات اجهاضها عبر تسويات سريعة وفوقية . ان النظام القديم منهار كليا ، ولذا فان النضال السياسي المستند الى البندقية الشعبية يتيح للحركة الشعبية احراز قدر من المكاسب لن تحققه اية اتفاقات تتم بمعزل عن ارادة الشعب .

● التأكيد على التحالف مع حركة المقاومة انطلاقا من ادراك وحدة المصير ووحدة جبهة الخصوم . ان أي خلل في هذا التحالف سيعيد قلب التوازن العسكري والسياسي وسيهدد بفقدان كل مكاسب المعركة .

● وفي الوقت نفسه ، فمن الضروري التأكيد على ان الحركة الوطنية اللبنانية لا تجد لها مصلحة في اية صدامات جانبية مع اي نظام عربي . اية مكاسب يحرزها شعب لبنان هي بالتأكيد لصالح الشعب العربي في كافة اقطاره . ثم ان أي صدام جانبي سيكون بمثابة خصان طرفان تنفذ معه مصالح اسرائيل والولايات المتحدة واليمين .